رسالة التوحيد
للشيخ أرسلان الدمشقي (ت بعد 540 هـ)
اعتنى بها
الشيخ عصام أنس الزفتاوي الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة رسالة التوحيد للشيخ أرسلان بن يعقوب الدمشقى لي معها شأن ، فلسنين طويلة احتوت مكتبتي الخاصة على نسخة من شرح الشيخ عبد الغني النابلسي عليها ((المسمى خمرة الحان ورنة الألحان بشرح رسالة الشيخ أرسلان)) ألممت بها إلماما سريعا ثم حفظتها بالمكتبة دون أن ألتفت إلى قيمتها العالية ، وبقى الحال سنين طوال ، حتى أذن الله لي بالسفر إلى دمشق المحروسة وشرفت بلقاء العديد من علمائها وأوليائها بقدر ما يسره الله كمولانا الشيخ العارف الكبير أحمد الحبال شيخ مجالس الصلاة على سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم ، ومولانا الشيخ العارف الكبير الأستاذ الدكتور عبد القادر الكتاني ، ومولانا شيخ القراء وبقية السلف شكري لحفى ، وكان ممن لقيتهم الشيخ العارف العالم محمد حسان دركل نفعنا الله به ، فأتحفني بإسماع هذه الرسالة النافعة ، وللحق فقد بت ليلتي تلك لا يمكنني النوم مع إرهاق السفر وأنا أعيد قراءة تلك الرسالة مرة بعد أخرى ، ويأخذني العجب منها ، وتتفتح لي بقرائتها آفاقا كانت موصدة دوني . رغم أنى كنت قد نشرت قبلها حكم ابن عطاء الله على ما هو مشهور عنها من رفيع المكانة ، وفرغت منذ عام تقريبا من العمل فى حكم أبي مدين ، واللتان أخذني نفس ما أخذنى عند قرائتهما لأول مرة.

وما زلت مشدوها لتلك الأنفاس الزكية التي تنفست عطر الكتاب والسنة ، فأبدعت تلك التجارب الإنسانية العميقة في ذوقهما ، وسعت قدر طاقتها إلى معرفة ربها فأنتجت تلك الحكم العرفانية.

واعتمدت في النسخة المنشورة على النسخة التي ناولنيها شيخنا الشيخ محمد حسان دركل حفظه الله كما سبق الإشارة إليه ، وقد قابلتها على عدة نسخة مطبوعة.

وللإمام الشيخ ابن طولون عناية خاصة بالترجمة للشيخ أرسلان ، سماها : غاية البيان في ترجمة الشيخ أرسلان ، وهي مطبوعة بدمشق ، بمطبعة العلم ، بعناية الأستاذ المحقق العلامة عزة حصرية رحمه الله تعالى.

وقد كان للأستاذ المحقق أيضا فضل نشر مجموعة شروح قيمة لهذه الرسائل تحت عنوان : شروح رسالة الشيخ أرسلان في علوم التوحيد والتصوف ، ويشمل المجموع على : فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى (ت 915 هـ) ، ونهاية البيان في شرح رسالة أرسلان للشيخ علي بن صدقة الشافعي (ت 975) ، وشرح الرسلانية لعلى بن علون الحموي (ت 936 هـ) ، وخمرة الحان ورنة الألحان ، للإمام عبد الغني النابلسي (1143 هـ) ، مع شرح الرسالة الرسلانية ومنتخبات للشيخ كمال الشريف عن فصوص الحكم والفتوحات المكية . ونشر أيضا بدمشق المحروسة ، مطبعة العلم ، 1389 هـ / 1969 م.

وقد قدم الأستاذ عزة حصرية بمقدمة ضافية للكتاب ، وتكلم عن الرسالة نفسها ، وعن شروحها ، وشارحيها ، وهي مقدمة جديرة بالقراءة.

ويتضح من الشروح السابقة المنشورة ، وغيرها مما نوه به الأستاذ المحقق ، حيث بلغت شروح الرسالة الأرسلانية فيما ذكره (12) شرحا ، أن هذه الرسالة كانت محل عناية الشيوخ ، والأولياء ، وطالبي الحقيقة.

رسالة التوحيد

للشيخ أرسلان بن يعقوب الدمشقى (ت بعد 540 هـ)

1- كُلُّك شِرْكٌ خَفِيٌّ . وَلاَ يَبِينُ لَكَ تَوْحِيدُكَ إِلاَّ إِذَا خَرَجْتَ عَنْكَ ؛ فَكُلَّمَا أَخْلَصْتَ يُكْشَفُ لَكَ أَنَّهُ هُوَ لاَ أَنْت فَتَسْتَغْفِرُ مِنْكَ . وَكُلَّمَا وَحَّدْتَ بَانَ لَكَ الشِّرْكَ ، فَتُجَدِّدُ لَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَوَقْتٍ تَوْحِيدًا وَإِيمَانًا . وَكُلَّمَا خَرَجْتَ عَنْهُمْ زَادَ إِيمَانُكَ ، وَكُلَّمَا خَرَجْتَ عَنْكَ قَوِىَ يَقِيْنَكَ.

2- يَا أَسِيرَ الشَّهَوَاتِ وَالْعِبَادَاتِ ، يَا أَسِيرَ الْمَقَامَاتِ وَالْمُكَاشَفَاتِ ، أَنْتَ مَغْرُورٌ ، أَنْتَ مُشْتَغِلٌ بِكَ عَنْهُ ، أَيْنَ الاشْتِغَالُ بِهِ عَنْكَ.

3- وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ حَاضِرٌ نَاظِرٌ {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ} فِي الدُّنْيَا وَفِي الأَخِرَةِ، فَإِذَا كُنْتَ مَعَهُ حَجَبَكَ عَنْكَ، وَإِذَا كُنْتَ مَعَكَ اسْتَعْبَدَكَ لَهُ .

4- الإِيمَانُ خُرُوجُكَ عَنْهُمْ ، وَالْيَقِينُ خُرُوجُكَ عَنْكَ . إِذَا زَادَ إِيمَانُكَ نُقِلْتَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَإِذَا زَادَ يَقِينُكَ نُقِلْتَ مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ.

5- الشَّرِيعَةُ جُعِلَتْ لَكَ ، حَتَّى تَطْلُبَهُ مِنْهُ بِهِ - تَعَالَى- لَكَ . وَالْحَقِيقَةُ لَهُ حَتَّى تَطْلُبَهَا بِهِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ ، حَيْثُ لاَ حِينَ وَلاَ أَيْنَ ؛ فَالشَّرِيعَةُ حُدُودٌ وَجِهَاتٌ ، وَالْحَقِيقَةُ لاَ حَدَّ وَلاَ جِهَةَ.

6- الْقَائِمُ بِالشَّرِيعَةِ فَقَطْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْمُجَاهَدَةِ ، وَالْقَائِمُ بِالْحَقِيقَةِ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْمِنَّةِ ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمُجَاهَدَةِ وَالْمِنَّةِ . الْقَائِمُ مَعَ الْمُجَاهَدَةِ مَوجُودٌ ، وَالْقَائِمُ مَعَ الْمِنَّةِ مَفْقُودٌ .

7- الأَعْمَالُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَالتَّوَكُّلُ مُتَعَلِّقٌ بِالإِيمَانِ ، وَالتَّوْحِيدُ مُتَعَلِّقٌ بِالْكَشْفِ الصَّحِيحِ.

8- النَّاسُ تَائِهُونَ عَنِ الْحَقِّ بِالْعَقْلِ ، وَتَائِهُونَ عَنِ الأَخِرَةِ بِالْهَوَى ، فَمَتَى طَلَبْتَ الْحَقَّ بِالْعَقْلِ فَقَدْ ضَلَلْتَ ، وَمَتَى طَلَبْتَ الأَخِرَةَ بِالْهَوَى فَقَدْ ضَلَلْتَ.

9- المؤمن ينظر بنور الله ، والعارف ينظر به إليه.

10- ما دمت أنت معك أمرناك ، فإذا فنيت عنك توليناك ، وما تولاهم إلا بعد فنائهم.

11- ما دمت أنت فأنت مريد ، فإذا أفناك عنك فأنت مراد.

12- اليقين الأدوم فى غيبيتك عنك ، ووجودك به ، فكم بين ما يكون بأمره وبين ما يكون به.

13- إن كنت قائماً بأمره خضعتْ لك الأسباب ، وإن كنت قائماً به تضعضعتْ لك الأكوان.
14- أول المقامات الصبر على مراده ، وأوسطها الرضا بمراده ، وآخرها أن تكون بمراده .
15- العلم طريق العمل ، والعمل طريق العلم.
16- والعلم طريق المعرفة ، والمعرفة طريق الكشف ، والكشف طريق الفناء.
17- ما صلحت لنا وفيك بقية لسوانا ، فإذا حولت السوى أفنيناك عنك فصلحت لنا فأودعناك سرنا.
18- إذا لم يبق عليك حركة لنفسك كمُل يقينك ، وإذا لم يبق لك وجود عندك كمُل توحيدك .
19- أهل الباطن مع اليقين ، وأهل الظاهر مع الإيمان ، فمتى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه ، متى لم يخطر له خاطر كمل يقينه . ومتى تحرك قلب صاحب الإيمان بغير الأمر نقص إيمانه ، ومتى تحرك بالأمر كمل إيمانه.
20- معصية أهل اليقين كفر ، ومعصية أهل الإيمان نقص.
21- المتقى مجتهد ، والمحب متكل ، والعارف ساكن ، والموجود مفقود.
22- لا سكون لمتق ، ولا عزم لمحب ، ولا حركة لعارف ، ولا وجود لمفقود.
23- ما تحصل المحبة إلا بعد اليقين.
24- المحب الصادق قد خلا قلبه مما سواه ، وما دام عليه بقية محبة لسواه ، فهو ناقص المحبة.
25- من تلذذ بالبلاء فهو موجود ، ومن تلذذ بالنعمة فهو موجود ، فإذا أفناهم عنهم ، ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة.
26- المحب أنفاسه حكمة ، والمحبوب أنفاسه قدرة.
27- العبادات للمعاوضات ، والمحبة للقربات.
28- ((أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)): لما أرادونى أعطيتهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.
29- إذا أفناك عن هواك بالحكمة ، وعن إرادتك بالعلم ، صرت عبداً صرفاً لا هوى لك ولا إرادة.
30- فحينئذ يكشف لك عن نفسك ، فتضمحل العبودية فى الوحدانية ، فيفنى العبد ويبقى الرب تعالى.
31- الشريعة كلها قبضٌ ، والعلم كله بسطٌ ، والمعرفة كلها دلال.
32- طريقتنا كلها محبة لا عمل ، وفناء لا بقاء.
33- إذا دخلت فى العمل كنتَ لك ، وإذا دخلت فى المحبة كنتَ له.
34- العابد راءٍ لعبادته ، والمحب راءٍ لمحبته.
35- إذا عرفتَه كانت أنفاسك به وحركاتك له ، وإذا جهلتَه كانت حركاتك لك.
36- العابد ما له سكون ، والزاهد ما له رغبة ، والصدِّيق ما له ارتكان ، والعارف ما له حول ، ولا له قوة ، ولا اختيار ، ولا إرادة ، ولا حركة ، ولا سكون.
37- الموجود ما له وجود .
38- إذا استأنست به استوحشت منك.
39- من اشتغل بنا له أعميناه ، ومن اشتغل بنا لنا بصَّرناه.
40- إذا زال هواك يكشف لك عن باب الحقيقة فتفنى إرادتك فيكشف لك عن الوحدانية ، فتحققت به أنه هو بلا أنت معه.
41- إن سلَّمتَ إليه قرَّبك ، وإن نازعته أبعدك.
42- إن تقرَّبتَ إليه به قرَّبَك ، وإن تقربت إليه بك أبعدك.
43- إن طلبته لك كلَّفك ، وإن طلبته له دلَّلك.
44- قربك خروجك عنك ، وبعدك وقوفك معك.
45- إن جئت بلا أنت قَبِلك ، وإن جئت بك حجبك.
46- العامل لا يكاد يخْلصُ من رؤية عمله ، فكن من قبيل المنة ، ولا تكن من قبيل العمل.
47- إن عرفته سكنْتَ ، وإن جهلته تحرَّكت ، فالمراد أن يكون ولا تكون.
48- العوام أعمالهم مُتَّهمات ، والخواص أعمالهم قربات ، وخواص الخواص أعمالهم درجات.
49- كلما اجتنبت هواك قوى إيمانك ، وكلما اجتنبت ذاتك قوى توحيدك .
50- الخلق حجاب ، وأنت حجاب ، والحق ليس بمحجوب ، ومحتجب عنك بك ، وأنت محجوب عنك بهم ، فانفصل عنك بهم ، فانفصل عنك تشهدْه ، والسلام.